كوردستانية خانقين حقيقة يبصم لها التاريخ

عزيز ياور

ان تحـاول البرهنة على صحة قضية ، او اظهار حقيقة يلفها الغموض ويعتريها الشك ، اسهل عندي احيانا من اظهارها وهي ناصعة لا لبس فيها ولا غموض . والمثال على ذلك هو ما نحن بصدده في موضوعنا هذا، اي حقيقة كوردستانية خانقين ، تلك الحقيقة التي حاول الشوفينيون بمختلف انتمائاتهم تزييفها وتشويهها لاهداف كانت على النقيض من حقوق الكورد ، واستمروا في ذلك وتمادوا حتى الحقوها بولاية بغداد في العهد العثماني . ثم بمحافظة ديالى بعد تأسيس الدولة العراقية عام 1921م ، وهي على ذلك المنوال الى يومنا هذا .

من البديهي ان تجعلنا هذه الرؤية مخالفين للقاعدة ، وخارجين عن منطق الاكثرية ، ولكن مخالفتنا تلك من عدمها ، لا تؤثر في ثباتها ، فهي رؤية تلازمنا باستمرار ولا تفارقنا . فضلا عن انها ليست طارئة او تراودنا من غير سبب ودون علة ، بل قائمة في ذاتنا ، وحاضرة ، كلما حاولنا ان نطرق باب الموضوع والاستشهاد بحجج وادلة تثبت كوردستانية خانقين الـتي يتجاهلها العنصريون قصداً . ومتى ما تسلحنا بها وحاولنا المواجهة ، زادت قناعتنا بان تلك المحاولات لاتخرج عن اطار ردود افعال بوجه ظلم طال الكورد من غير حق . والا فـان كوردستانية خانقين كحقيقة تغنينا عن كل دليل وبرهان ، وهي فراداً كانت او مجتمعة ، ستظل عاجزة عن اضافة شيء الى الموضوع ، سوى الاستمرار في التكرار الممل والـدوران حول ذات المحور ، لتصبح في نهاية المطاف الفاظاً هزيلة ، عقيمة ، مترنحة امام عظمة تلك الحقيقة وشموخها ، حقيقة كوردستانية خانقين . هكذا نراها طالما كانت تطالبنا اخضاع البديهيات الى التجربة !

بهذه الرؤية فان القضية عندما تعلن عن نفسها ، ترفض الأحكام التركيبية ، وتلزمنا ان نخضعها لأحكام تحليلية ، ذلك لان كوردستانية خانقين كموضوع ومحمـول لايخـرجـان عن نتيجة تحصيل الحاصل فتغدو الادلة والبراهين تائهة حائرة لا تفيد في كشف جديد , وما هي سوى تعريفات لفظية لمدلول ومسمى واحد هو كوردستانية خانقين . وحتى لو سلمنا جدلا (رغم رؤيتنا تلك) بضرورة التذكير لتأكيد تلك الحقيقة ... فانها باعتقادنا وللاسباب المذكورة لاتخرج عن اطار الاعادة والتكرار ، او انها في احسن الاحوال تدخل ضمن دائرة الامر الواقع الـذي يفرض ان نسلك طريقا نهايته هي ذات البداية . مع ذلك فلو اقحمنا الموضوع فاننا سنختار زوايا صغيرة وابواب غير مطروقة مختلفة عن المألوف والمتداول ، وهي وان كانت صغيرة في مساحاتها الا انها عميقة في دلالاتها ومعانيها . وبـاي استدلال نحكم عليها فانها تفضي الى ذات النتيجة (خانقين كوردستانية) . وهي الحقيقة التي تعرضت الى محاولات الاغتيال طوال قرون من الزمن .

★ خانقين ضمن ولايـة بغداد ... الصورة والدلالة :

جـغـرافـيـة وتـاريـخ خـانـقـين ومـلامحـها الطوبوغرافية والديموغرافية ، من ابسطها الى اكثرها تعقيداً تنادي جميعها بحقيقة كوردستانية هذه المدينة ، وتؤكد عليها . فبغض النظر عن الجوانب النظرية ، او الدراسات السوسيولوجية والاثنوغرافية ، فان اي باحث ميداني يعيش واقـع المدينة باحاسيسه او

ببعضها ، سيعي بكل بساطة ان كوردستانية خانقين حقيقة لا تقبل الشك . وسيؤمن بان عجز سنوات التعريب الطويلة عن تغيير روحها الكوردستانية انما لاصالتها ولجذورها التي ضربت في عمق التاريخ .

تعرضت كوردستانية خانقين باستمرار الى محاولات المصادرة والتشويه من الانظمة التي تعاقبت على حكم العراق . ورغم قدم تلك المحاولات الا انها بدأت رسميا بعد صدور التنظيمات الادارية للدولة العثمانية المقترنة بمرسوم (كلخانة) الشهير عام 1839م ، حيث حاجة الدولة لادارة مدنها واصلاح شؤونها بتقسيمات ادارية وفقا للقوانين الاوربية (سيما الفرنسية) التي اعتمدها العثمانيون . فتم رسم حدود ولاية بغداد لتجاورها من الشمال ولاية الموصل التي تشكل سلسلة جبال حمرين حداً طبيعياً فاصلا بينهما ، ومن الشرق بلاد فارس اما جنوبها الشرقي فولاية البصرة ، ومن الجنوب الغربي فبادية الشام . في حين تحدها من الغرب متصرفية دير الزور واقسام من بادية الشام . لتصل بمساحتها الكلية الى (200/ 141) كيلومتر مربع . ورغم الاختلاف الكبير والفرق الواضح بين ديمغرافية خانقين وتميزها عن مدن ولاية بغداد ، الا انها وفق تلك التقسيمات اجتازت جبال حمرين والحقت مرغمة ببغداد في حين ان المنطق يفرض ان تكون ضمن ادارة كوردستان (ولاية الموصل) مع اخواتها المدن الكوردية الاخرى . كل ذلك لموقعها المؤثر ودورها في حسم الكثير من الصراعات الدائرة بين المتنافسين في المنطقة . فأهمية المدينة من النواحي السياسية والعسكرية والاقتصادية ، اصبحت مجتمعة هدفاً استراتيجياً شغلت الحكومات المتعاقبة باستمرار ، فجلبت لها ولاهلها الخراب والويلات التي استمرت تداعياتها حتى يومنا هذا . ومصيرها معلق بين اروقة دوائر المادة 140 دون حل حقيقي ، رغم التبجحات التي نسمعها عن حقوق الانسان وسيادة القانون والفدرالية والشراكة .

استناداً الى الصفحة المرقمة (184) من سالنامة ولاية بغداد لسنة 1325هجرية (1907م) ، فان نفوس هذه الولاية في تلك السنة بلغ (1/300/000) نسمة اغلبهم من العرب يليهم الكورد ومن ثم الاتراك واقوام اخرى . ولا احسب بان اي متابع سيشك بمصداقية هذه المعلومة التي اوردتها السالنامة من حيث تصنيف الكورد كثاني اكبر قومية في الولاية ، لان الرابطة الاسلامية التي تبنتها الدولة العثمانية ، اقتنعت باحتواء قوميات مسلمة غير تركية ، وهي تخضع للوائها في نهجها الاسلامي وسيادة اللغة التركية . اما خارج اطار تلك القناعة فان اية قومية او طائفة غير تركية ستتعرض الى الحساب وفق بنود سلطة السلطان وقوتها المستمدة من السماء . لذلك لايمكن التشكيك بتقرير سلطة لاتعترف اساساً بابسط حقوق الكورد ، وتحاول التعتيم على هويتهم وتهديد وجودهم السياسي والثقافي ، بل وكل مفاصل حياتهم المادية والمعنوية . ومع ذلك تقر بانهم من حيث النفوس يشكلون القومية الثانية بعد العرب في ولاية بغداد . وهذا ما يستوجب التوقف والتأمل للوصول الى المعطيات التي فرضت هذا الواقع . في حين ان القسم الاعظم

من مدن وسناجق ولاية بغداد هي ذات اغلبية عربية وتقع في وسط العراق بل تتوسع جنوبا لتصل الى مدينة السماوة ، فيفترض لخصوصية المنطقة ان يمثل الاتراك القومية الثانية فيها وليس الكورد . ذلك لان الدولة العثمانية وعلى مدى نحو اربعة قرون من حكم العراق جلبت الالاف من العوائل التركية للسكن في هذه الولاية ، ونقلت اليها اعداداً مؤثرة لادارة شؤون الدولة المدنية والعسكرية ومؤسساتهما . ومثلها من الموظفين والمعلمين والمدرسين للعمل في المدارس والمعاهد والكليات المدنية والعسكرية ، والمؤسسات المهنية ، والمئات من الضباط واضعافها من المراتب العسكرية وعوائلها الى بغداد حيث مركز الجيش السادس العثماني . هذا فضلا عن عوائل كانت تسكن الولاية اصلا أو هاجرت اليها بعد الغزو العثماني للعراق . ثم فان سيادة لغة السلطة (التركية) على المنطقة لفترة طويلة اثرت كثيراً في لغة وثقافة اعداد كبيرة من العوائل غير العربية فهجرت لغاتها ودخلت تحت لواء قوم السلطة ولغتها .

اذا ما صادف واطلع القارىء الكريم على المنجز الموسوم (الادارة العثمانية في ولاية بغداد 1869-1917) لمؤلفه الدكتور جميل موسى النجار وركز على الصفحتين (105 و106) فانه سيقف على قراءة مغايرة لقراءتنا التي توافق السالنامة في هذا الموضوع . والسبب في ذلك كما يبدو هو ان الدكتور النجار اعتمد في قراءته تلك على مصادر الباحثين الاجانب والمستشرقين الذين جابوا المنطقة ، ولم يعتمد (قصدا او دون قصد) سالنامات ولاية بغداد . فجاءت رؤيته وقراءته مخالفة ليست لرؤيتنا فحسب بل لواقع الحال ايضاً والذي دونته السالنامة . فكان طبيعيا ان يصنف قوميات الولاية من حيث عدد نفوسها وتواجدها على النحو الاتي : (سكان ولاية بغداد كانوا - في فترة البحث - يتألفون من العرب والتركمان والاكراد والفرس والغالبية العظمى من السكان كانت من العرب . اما اقليات السكان التي احتفظت بسماتها وكونت مجتمعات عرقية مستقلة فكان منها التركمان وانتشروا في قرى ومدن الولاية الشرقية وكان الفرس من الجاليات التي عاشت في مدينة بغداد ومدن العتبات المقدسة الاربع ، الكاظمية وسامراء والنجف وكربلاء . اما الاقلية الكوردية فعلى الرغم من ان مناطق توطنها كانت تتركز في كوردستان فان كثيرا منهم قد هاجر طلبا للرزق الى بغداد وغيرها من مدن الولاية) .

اكاد ان اكون واثقا بان الدكتور النجار سيوافقني الرأي ، على ان سالنامات الولاية التي اضطلعت بمهمة الاحصاء وتوثيق شؤون الدولة وامورها الادارية المختلفة ، هي الاكثر دقةً وقرباً الى الحقيقة من غيرها من المصادر ، سيما في موضوع كالذي نحن بصدده ، كونها وثائق رسمية تعتمدها الدولة ولاتخضع معلوماتها لاهواء شخصية او تاثيرات فئة معينة في تلك الفترة على الاقل ، حيث يشرف على تحريرها احد كبار موظفي الدولة يطلق عليه (ركن الولاية) ويعين من قبل الحكومة المركزية في استنبول . وهو المسؤول عن مهمة حفظ المراسلات الرسمية . ومن واجباته ايضاً الاشراف على (مطبعة الولاية) والاهم من ذلك اصدار التقارير السنوية التي عرفت ب (

السالنامة) مهامها تدوين كل ما يتعلق بالولاية من معلومات . هذه الحقائق اذن تفرض علينا ان نبحث عن الاسباب التي وضعت الكورد من حيث نفوسهم في المرتبة الثانية بعد القومية العربية (حسب السالنامة). متفوقين بذلك على التركمان والاقليات الاخرى .

للوقوف على تلك الاسباب ، فان المسألة وفي جميع جوانبها ترفض السير سوى في اتجاه واحد ، وهو الإتجاه الذي يؤدي الى مدينة خانقين وناحيتيها (بنكورة) و (قزربات) والقرى والقصبات التابعة لهما . وبغير هذا الإتجاه سنبعد الموضوع عن حقيقته . وبعيداً عن التعقيد والانجرار وراء العاطفة فاننا ازاء صورة واضحة المعالم ، سهلة القراءة . أما عناوينها فتنطق وتؤكد على ان حضور سكان خانقين الكورد في الولاية هو الذي احدث الفارق ، ولولاهم لما كانت المعادلة بتلك الصورة . ويجب هنا ان لاننسى قضاء مندلي الكوردستانية ، ذات الاغلبية الكوردية فهي اضافة مؤثرة لكورد الولاية . وبعبارة اخرى فانه لايمكن ان نتصور النتيجة ذاتها وخانقين خارج ولاية بغداد . فلو امعنا النظر في ديمغرافية مدن ولاية بغداد (الجدولان رقم1ورقم 2) لامكن تصور النتيجة الحتمية التي ستؤول لها المنافسة . والتي تؤدي الى قراءة واحدة وهي : لولا كورد خانقين بالدرجة الاساس ، فان الساكنين منهم في مدن الولاية الاخرى لايمكنهم لوحدهم تبؤ المركز الوصيف من حيث عدد النفوس . وهذه النتيجة الاستنباطية لاتقبل الشك لانها تاتي وفق مقدمات صادقة لم نتدخل في صياغتها . ولا يمكن اعتبارها الا دليلا على كوردستانية خانقين . وما يؤكدها هي ذات السالنامة التي وثقت المعلومة التي ذكرناها. حيث جاء في صفحتها 243 على ان القسم الاعظم من سكان خانقين هم اكراد .

ولتوضيح المشهد بشكل افضل ندون هنا أقضية ولاية بغداد كما ذكرتها السالنامة عام 1325هجرية . حيث صنفت لدرجات ثلاث : اولى ، ثانية ، ثالثة . ويمكن من خلالها تصور الثقل الذي تحمله كورد المدينة في منافسة المدن ذات الاغلبية العربية .

الجدول رقم (1)

ادناه نواحي الأقضية التابعة لولاية بغداد وكما جاءت في نفس السالنامة ويلاحظ فيها بنكدرة وقزلرباط وهما مصنفتان في الدرجة الاولى و تتبعان قضاء خانقين .

الدرجة الاولى	الدرجة الثانية	الدرجة الثالثة
خراسان (بعقوبة)	مندلي	الكاظمية
خانقين	كوت الامارة	سامراء
الدليم	العزيزية	بدرة
الهندية	الجزيرة	عنه
النجف	السماوة	الرزازة
الحلة		
الشامية		

الدرجة الاولى	الدرجة الثانية	الدرجة الثالثة
تكريت ، شفاثة ، مسيب ، شهربان ، الخالص ، دغارة ، البدير ، ممدوحية (المدحتية) ، بنكدرة ، قزلرباط ، خضر الدراجي ، الكوفة ، سلمان باك .	الاعظمية ، المحاويل ، غريبة ، جسان ، الفلوجة ، الصلاحية ، هور الدخن ، هيت ، القائم ، بارنامة ، نهرشاه ، الخواص ، محاويل ، الشنافية ، غماس ، هور الله ، ابو جوارير (رميثة) .	كبيسة ، رحالية ، الكفل ، جبه الوس ، حديثة ، الرحبة .

الجدول رقم (2)

بغداد ولايتك جغرافياى طبيعيسى

ولايتك موقعى ، حدودى ، مساحهٔ سطحيه‌سى ، نفوسى

بغداد ولايتى آسيانك غرب جنوبى جهتنده كائن وعراق عربك شمال غربى قسميله الجزيره [جزيرهٔ مابين النهرين ، مزوبوتامى] قطعه‌سنك جنوب شرقى قسمندن عبارتدر .

شمالاً : موصل ولايتى ، شرقاً : ايران عمالكى ، جنوب شرقيسى ، بصره ولايتى ، جنوب غربيسى : بادية الشام ايله محدود وشمال غربيسى زور سنجاغنه متصلدر .

غوطه سالنامه‌سنده مساحهٔ سطحيه‌سى ١٤١٢٠٠ كيلومتروم ربعى، نفوسى ٨٥٠٠٠٠ كوسترلمش ايسه‌ده سيار وخيمه نشين وزراع وعشائر وقبائل غير محرره دخى تخميناً داخل حساب ايدلديكى حالده نفوسى ١٣٠٠٠٠٠ راده سنده‌در . نفوس مذكوره‌نك قسم اعظمى عرب وقصورى كرد وترك واقوام مختلفهٔ ساثره‌در .

(ولايتك احوال ارضيه‌سى)

طبيعت ارض ـ ولايت اراضيسنك موصل ولايتيله‌هم حدود قسمنده وجبل حمرين ، وشمال شرقى جهتنده ايرانك پشتكوه طاغلرندن منشعب ومنتهى بعض تلالدن بشقه عوارضى اولمايوب قسم اعظمى دوز اراضيدن وبرقسمى قوملق محاريدن متشكلدر . ولايتك قسم اعظمنك طوپراغى، دجله وفرات نهرلرينك من القديم سوروكايوب براقدقلرى كوپرملى مترسب طوپراقلردن عبارت اولمله قوهٔ انباتيه‌جه دنيانك اك برنجى طوپراغيدر.

نهرلر ، كولار ـ ولايت داخلنده « دجله » و« فرات» نهرلريله «دياله»، « الوند» ، «مندلى» ، «ترساق »، «كلال » ، « كاوى » سولرى ودها بعض جايلر جريان ايدر .

عشائرندندر .

نفس قزلرباط قصبه‌سنده بشيوزه قريب خانه ، ١٦ خان ، ٤ قهوه‌خانه ، ١٣٠ دكان ، ٦ علوه ، ٣ جامع ، ٣ حمام ، ٤ سو دكرمى ايله متعدد باغ وباغچه واردر .

قزلرباط مقاطعه‌سنك جنوبنده واقع زاويه مقاطعه‌سنده برقريه وبونك مزارعنى سقى ايدن ديياله نهرندن منشعب بريچق ساعت طولنده برجدول وارد‌ر . بومقاطعه قزلرباط ناحيه‌سى توابعندن اولوب خيمه نشين اولان جبور ، زركوش ، بجاجيل فرقه‌لرى طرفندن زراعت ايديلير .

اراضئ سنيه‌دن معدود وخانقين مقاطعه‌سنك شمال غربيسندن غربه طوغرو الوند نهرى بونجه ممتد اولان عليه‌وه مقاطعه‌سى اون قريه‌يى محتويدر . بوقريه‌لر مزارعنك قسم اعظمى مائى اولوب الوندن منشعب برساعت طولنده‌كى جدول ايله سقى اولنور . قسم ديكرى مطريدر .

الوند وديياله نهرلرى خانقين قصبه‌سنك درت ساعت غربنده « مخلط » دنيلن موقعده برلشير .

خانقين قضاسى اهاليسنك قسم اعظمى كرد عشائرندن وبرقسمى ترك ، عجم وعربدن مركبدر . لسان عمومى ترجه اولوب ايكنجى درجه‌ده كردونى ويس ، ربيعه ، بجاجيل ، كروى ، جبور عشايرنده عرب وبعض عشاير تزدنده فارسى لسانلرى‌ده مستعملدر .

بغداد ولايتى داخلنده اك زياده عارضه‌لى ، طاغلى اراضى بوقضاده‌در. ايرانده‌كى الوند جبال متسلسله‌سندن متفرق اولان برطاقم طاغلر بتون بوقضايى احاطه ايتمشدر . مقاطعات ومزارع عادتا طاغلر آره‌سنده‌كى بيوك واديلردن عبارتدر .

بوقضا داخلنده باشليجه خانقين وحاجى قره ، قزلرباط ، بكدره ،

صفحة السالنامة التي دونت موقع وحدود ونفوس ولاية بغداد ويلاحظ فيها تصنيف الكورد بين قوميات الولاية .

★ تعريب المدينة ... السبب والنتيجة

تبعاً لنواميس الفيزياء ووفق شروط المكان والزمان ، فان المرء لايمكنه ان يهدم فراغا أوشيئا لاحيز له ولا ابعاد . وبعكس ذلك فان هدم الشيء او محاولة ازالته دليل وجوده المادي والمعنوي . وهذه كحقيقة وكمبدأ لايمكن الهروب منها او اسقاطها . ومتى ما اخضعنا مسألة كوردستانية خانقين لنفس المبدأ افضت الى ذات الحقيقة ... حقيقة وجود الشيء من عدمه . وهنا في هذا الموضوع فان كوردستانية خانقين حقيقة ووجود ، والا فان معاول البعثيين كانت

ستضرب في الفراغ ، ولا يمكنهم ازالة قرية اونقل موظف أو عامل أوفلاح وابعادهم الى الصحراء ! . فاذا لم يكن السبب كوردستانية خانقين واهلها الكورد . فبأي سبب اذن فعل البعثيون ما فعلوا بها وباهلها طوال اكثر من ثلاثة عقود ؟ ألم تكن محاولة شاذة لازالة ظواهر مادية ومعنوية طبيعية احتضنتها ارض كوردستانية لمئات السنين . ارض تخاطب بلغة ترفض البدائل ، وكل ما هو غريب عن طبيعتها الازلية ؟. أليس تعريب المدينة بهذه الصورة المخجلة دليل ساطع على كوردستانيتها ؟ واذا كان شر البلية ما يضحك كما يقولون ، فان ما يضحك هنا في هذه المسألة هو ان نجعل من عمليات الترحيل والتهجير البغيضة معياراً لصدق قضية أوصحتها !.

اذا كانت محاولة ازالة آثار التعريب لدى الكورد هي قضية قومية ، فانها لابد ان تكون عند المنصفين من غير الكورد مسألة اخلاقية وانسانية . ومن هذا المنطلق فان دفاع بعض الاخوة العرب عن هذه المسالة يتجرد آليا من منطلقاتها القومية ويدخل ضمن ابعادها الانسانية والاخلاقية . ومع هذا لم نستغرب ، ونحن نسمع من بعض الاصدقاء العرب بان الكورد يبالغون بعض الشيء في سردهم لمآسي عمليات الترحيل القسري ، والفواجع التي طالتهم ! وهؤلاء وان كان معظمهم يقصدون الاستضاحة وليس اي شيء آخر . الا انها في نفس الوقت تبعث على الألم والحسرة ، وتحرك الاذهان نحو استحضار المقولة العربية : (الذي يسمع ليس كمن يرى) . ولإيماننا بها ، فان هذه المقولة فرضت علينا ان نعيد بعضاً من حساباتنا (ولو مؤقتا) في جدوى سرد مآسينا لمن لم ير أو يستوعب ما حل بنا . لان ذبح الكورد كان يجري في الظلام ومن خلف الكواليس ، أوتحت رمال الصحراء البعيدة عن الانظار . بينما لم يكلف احداً نفسه ان يتبين حقيقة ما يجري من فظائع . ولهذا جاءت المفردات ذاتها مختلفة في دلالاتها ومعانيها بين الضحية (الكورد) وبين هؤلاء . فمفردة (ايفا) التى ترعب اطفال ونساء وشيوخ الكورد ، تعني عند غيرهم حافلة لنقل الافراد والمعدات العسكرية . اما المدفع والقاذفة والدبابة والسمتية التي تعني الموت والدمار للكورد . فانها لاتعني لغيرهم سوى اسلحة للدفاع عن حياض الوطن ضد المخربين والاعداء .

معاني الصور التراجيدية لربيع عام 1975 ما تزال حاضرة في ذاكرتنا ولم تفارقنا . سيارات الايفا والزيل العسكرية بلون الصحراء ، الجنود المدججون بالسلاح ، الدبابات ، الطائرات بمختلف الانواع تجوب سماء خانقين واطرافها .. اكثر من 180 قرية كوردية محاصرة بأدوات الموت . الاطفال والشيوخ والنساء تسمرت في اماكنها تستوضح المقصود من هذ التحشد . هل هو ضمن التحريات التي الفتها هذه القرى عندما تداهمها قوات الجيش وبعض الجحوش الاذلاء؟ ام ان مظاهره توحي بشر اكبر وكارثة اعظم ؟ ما الذي يحدث ؟ هل هي رؤيا تراودهم في المنام ... ام رؤية حقيقية يعيشونها فعلا ؟ واخيراً نداء مكبرات الصوت يقطع الشك باليقين : يا أهل القرية المخربون . ان كنتم تفضلون البقاء فاحجزوا خلال ربع ساعة من الان اماكنكم في السيارات العسكرية التي تنتظركم . وبعدها سنحرق كل راجل نعثر

عليه في القرية . اذن فهي حقيقة وليس حلماً . الحافلة التي تستوعب عشرون فرداً حشروا فيها اكثر من خمسين كوردياً ، الاطفال والاولاد، النساء ، الحامل وغير الحامل ، الشيوخ ، السالم والمعوق والمريض ، (لافرق بين عربي واعجمي الا بالتقوى) . تركوا كل شيء خلفهم إلا عشق الارض وحب الحياة . لتبدأ رحلة الرعب والسفر نحو المجهول . كان هذا مصير ابناء اكثر من 180 قرية كوردية . ولم تغفل أو تستثني السلطة واحدة منها ، لان جميعها كوردستانية وعلى اهلها ان يدفعوا ضريبة هويتهم الكوردية .

لنترك مصير هؤلاء فقيل وكتب عنهم الكثير ، ولنختصر الصفحة الثانية من التعريب التي استمرت بشكل متوازن بين كفتي تهجير الكورد من جانب واسكان العرب في اماكنهم من جانب آخر . فعندما اتت السلطة على وجود الآهلين في القرى والارياف التي تحيط بخانقين واسكنت في اماكنهم آلافاً من عرب المحافظات الجنوبية ووزعت عليهم ما تركه الكورد . توجهت نحو مركز المدينة وقامت بما لم يتوقعه حتى بعض البعثيين حيث اصدرت (مجلس قيادة الثورة) قرارات جائرة وأوامر مجحفة أبعدت بموجبها المئات من الموظفين والعمال والمعلمين والمدرسين الكورد الى المحافظات الجنوبية ، في عملية تعد الاولى من نوعها في المنطقة . وكانت السلطة تلحق بهذه الاوامر السرية ايضاحا تدعي فيه بان هؤلاء انما نقلوا الى الجنوب بناء على رغبتهم ! عجيب امر هؤلاء ! . اية رغبة هذه تفجرت عند مئات الموظفين الكورد دون غيرهم في لحظة واحدة ؟ واية رغبة هذه واصحابها لا يريدون العيش سوى في المحافظات الجنوبية ؟. والاغرب من كل هذا وذاك هو ان تضم هذه القوائم اسماء لأشخاص مضى على وفاتهم سنوات ! ومع ذلك فان السلطة لم تبدي ادنى اهتمام بما يقال عن تلك الاكاذيب . ثم لو فرضنا جدلا ان هذه التنقلات تدخل ضمن قواعدها الاعتيادية والاصولية ، واعداد المنقولين (المئات) هي ضمن المعقول ، وتم بناء على رغبتهم . ولكن ألا يحق لنا ان نسأل عن السبب الذي جعل هذه الاوامر تصدر من مجلس قيادة ثورة السلطة ؟ وان نسأل ايضاً عن الداعي لان تكون هذه الاوامر سرية ؟

لا اعتقد ان استطراداً اكثر من هذا سيضيف شيئا الى ما اشرنا اليه في البداية . فليس أدل من عمليات الترحيل والتهجيرعلى كوردستانية المدينة ، فهي تفضح النوايا ، وتفصح عن الحقيقة...وان اية اضافة لا تزيد شيئا لها .

★ الاسماء .. ورسم الهوية

بشكل عام وكما هو معلوم ، فان اسماء الافراد لا تأتي اعتباطاً او دون قصد , وانما تاتي لتعلن عن عقيدة دينية ، أونزعة قومية أوفكرة سياسية ، أو تعبيراً عن الاعجاب بأبطال ومشاهير حقيقيين واسطوريين ، بل تأتي إيماناً ببعض الخرافات الاجتماعية احياناً . فهي في النهاية تعطي صورة تعكس الى حد كبير عقيدة وثقافة وتراث حامليها . والاسماء تختلف باختلاف الاقطار بل وتختلف حتى بين مدن القطر الواحد . ففي المغرب العربي مثلا هناك اسماء لانألفها في المشرق العربي ، نحو : الاخضر ، جلود ، بلومي ، بية ، بلحاج وغيرها . وقد تعبر الاسماء عن البيئة التي تحتضنها ، ففي الجاهلية

وصدر الاسلام مثلا تعود العرب على اسماء تعبر عن الصلابة والخشونة لتلائم بيئة الصحراء القاسية التي يعيشونها نحو : حنظلة ، قتادة ، صخر ، حرب ، سنان وغيرها من الاسماء .

يتأثر شيوع بعض الاسماء او اختفائها احياناً بالظروف السياسية السائدة ، او التوجهات المفروضة من قبل هذا السلطان او ذاك . ففي العهد الاموي مثلا عزف الناس (لاسباب معروفة) عن اسماء : علي ، عباس ، حسن ، حسين ، جعفر ، زينب . واسماء أخرى هجرها محبيها خوفاً . وبعد مئات السنين تتكرر الحالة مع الكورد وبالاخص سكان المناطق المستقطعة . فقد منعتهم السلطات البعثية وبوسائل ملتوية من تداول الاسماء الكوردية في دوائر النفوس والاحوال المدنية . ولنا في ذلك قصص وامثلة حية ماتزال تعيش في اذهان ابناء خانقين الكورد . واذا خيروني ان اذكر واحدة منها فانني سافضل قصة احد الزملاء وما جرى بينه وبين مدير دائرة نفوس خانقين من سجالات حول اسم اختاره لمولوده البكر . فالقصة مع ما تحملها من أسى فانها تحمل شيئاً من الطرافة ايضاً.

وهي وان كانت صغيرة في حدودها ، إلا انها كبيرة في الدلالة والمعنى . اما تاريخها فبدايات القرن الحالي ، وصاحبها من كوادر الحزب الشيوعي الكوردستاني في خانقين . كنا في تلك الفترة نسكن المنطقة نفسها ، فنلتقي على فترات متقاربة وكلما رأيته كانت الابتسامة على محياه . ولكن في واحدة منها وهو على غير عادته ، رأيته متأثرا حزيناً لسبب كنت اجهله . بدأ يفصح عنه شيئا فشيئا وهو يلعن الوضع الذي قدر ان يعيشه ابناء خانقين بينما يعبر عن استياءه الشديد من كاتب دائرة نفوس المدينة لانه رفض (حسب توجيهات سرية) ان يمنح هوية الاحوال المدنية لمولوده البكر الا اذا اطلق عليه اسماً عربياً ! وهذا ما يسلب ابسط حقوقه الانسانية ، ويخالف في ذات الوقت رغبته في الاختيار . ورغم انه اختار (سامان) اسما لولده ، الا انه رفض من المدير فالاسماء الكوردية ممنوعة من الصرف في تلك الدائرة . لذلك اقترح عليه الكاتب بدلا عن سامان بعض الاسماء العربية لكنه بدوره رفضها جميعا ، ليس لانها عربية (كما قال) بل لانها تطاول غير مسبوق على حرية وكرامة الانسان الكوردي . ورغم انه يحمل فكراً يترفع عن العنصرية القومية الا انه اعتبر هذا الخيار تحدياً لا يقبل القسمة على اثنين فاما اسم كوردي ، واما اسم غير عربي . ولكي لايمتثل لطلب جائر ، فانه اطلق على مولوده الاسم (نوح) على اعتبار انه اسم غير عربي . ليجرد بذلك وليده منذ ساعات حياته الاولى من ابسط حقوقه الانسانية والقومية . المهم عند الوالد ان لا يكون الاسم عربياً كي لا يمتثل لرغبة السلطة الاستبدادية واعتبر ذلك تحدياً اكبر بكثير من مجرد رفض او قبول امر ، بل اعتبر ذلك قضية تتعلق بحياة شعب يسرق منه كل شيء حتى حرية اختيار اسم ! .

ان يمنع تداول اسم معين لاسباب وظروف استثنائية خوفا من عواقب غير محمودة ، قد يمكن تصوره (رغم عدم شرعيته) . اما ان تمنع سلطة شعبا من تداول اسماء بالجملة تعود لمئات السنين ، فهذا ما لا يتقبله العقل ولايستسيغه المنطق . ولكن هذا ما حدث في مدينتنا خانقين

. فالسلطة البعثية لم تستثن جانبا يفصح عن كوردستانية المدينة ، الا وحاولت تغييرها او تشويهها . في مقدمتها اسمائها الكوردية التي كانت تستفز السلطة من الصميم . فقد ظلت ثيمة المدينة التي لم تنفصل عن تاريخها ولو للحظة ، رغم عاديات الزمن .

في هذا السياق ولاهدافها الخبيثة فان السلطات البعثية بعد ترحيل ساكنيها أقدمت على تغيير اسماء جميع القرى المحيطة بالمدينة من الكوردية الى العربية ، وكذلك جميع احيائها السكنية . ونصبت في بوابات المدينة وقراها ومداخل احيائها وواجهات دوائرها ومدارسها اللوحات الكبيرة وهي تحمل الاسماء العربية المستمدة معانيها من التاريخ والتراث العربي . فجاءت معظمها بالضرورة غريبة عن المنطقة وغير مألوفة لساكنيها الكورد . ولكن رغم ذلك وعلى عكس النتيجة التي توختها السلطة ، فان عرب التعريب الذين استقدموا للمدينة استسلموا للاسماء الكوردية القديمة وتعودوا عليها رغم معاناتهم من تلفظها أحياناً ، فالمحيط والبيئة الكردستانية للمدينة وغلبة اللغة الكوردية أرغمتهم على تقبلها والتعامل معها . وللحقيقة فان الكورد لم تستفزهم الاسماء العربية يوماً ، بل على عكس ذلك كانت دوما مبعث فخر واعتزاز لهم ، فهم كمسلمين من جانب ولعلاقاتهم التاريخية ومصاهرتهم مع العرب من جانب آخر ، فان الاسماء العربية سيما الدينية لاتفارقهم منذ مئات السنين وحتى يومنا هذا . غير ان الحالة اختلفت عندما حاولت السلطة البعثية تعريبهم .. واعتبروا منع تداول الاسماء من اخطر فصول عمليات التعريب ... فحملهم على التحدي . وفي ذلك تداعيات يجب الاعتراف بها.

هنا نورد بعضاً من الاسماء الكوردية التي حافظت على وجودها وابت الاستسلام واقلقت السلطة بعد ان فشلت محاولاتها من منع تداولها ليس بين كورد المدينة فحسب بل وحتى بين عرب التعريب ايضاً . وهي الاسماء القديمة التي تعبر معانيها عن شكل وظواهر المعالم الطبيعية للمدينة ، من جبال وتلال ووديان وانهار . وكلها باللغة الكوردية ... لغة ابناء المدينة التي تعبر عن حقيقتها اعظم تعبير . ونحن اذ نعرض عدداً من هذه الاسماء فاننا لم نتعمد اهمال اسم أو التأكيد على آخر باعتباره اسما كوردياً . لان من يطلع عليها سيما الذي عاش وسكن خانقين سيقف على الحقيقة بنفسه .. عندئذ يحق له ان يمنح المصداقية للمعلومة او يجردها منها . وهنا من الانصاف ان نوضح بعض الاستثناءات . فهناك عدة قرى تقع غرب او شمال غرب المدينة غالبية ساكنيها من الاخوة العرب الذين عاشوا مع كورد خانقين قبل عمليات التعريب واسماء هذه القرى اما عربية واما باسماء اصحابها العرب مثل : دراوشة ، غركان ، احمد هلال ، علي سعدون . او ان بعض الاسماء ترتبط باحداث تاريخية جرت في المنطقة ولا تدل سوى على نفسها . مثل كلمة المنذرية ، التي جاءت اختصاراً لاسم النعمان بن المنذر كما يحدثنا عن ذلك بعض المؤرخين .

الاسماء التي نحن بصددها معظمها قديمة ، لكنها من الكلمات الكوردية المتداولة في خانقين والمنطقة بشكل عام . وهي تعبر عن الظواهر الطبيعية لسطح المنطقة ومعالمها . غالبيتها

اسماء مركبة من مفردتين جاءتا لوصف شكل معين او تعبيراً عن حادث معين . وللوقوف على الفاظها الكوردية الصحيحة ، فاننا تعمدنا تحريك بعض حروفها باشارات كوردية . لان الحروف العربية لوحدها لا تفي بالغرض في هذه الحالة . فمثلا الفتحة في العربية يمثلها حرف الهاء(ه) في الكوردية . وهي من اكثر الحركات التي تحتاجها اللغة الكوردية .

الاسماء :

(كه لات ، مرواري ، حه وش كوري ، اركه وازي ، بانميل ، مله كونار ، باوه كه زي ، كاني زه رد ، ناو دومان ، كاني ماسي ، ميخاس ، كونا كه متار ، جه م قاميش ، به له جه فت ، سه وز بلاغ ، به ره به له ، ته به كه له شير ، قه له مه ، جه م جه قه ل . داره كوناره ، قاميشه لان ، كوزه ره قه ، توله فروش, نه يكه نه ، داره وشكه). وعشرات من الاسماء الاخرى .

انتشر بين سكان معظم المدن الكوردستانية , حالها حال المدن العراقية الاخرى تقليداً يبيح لهم اطلاق بعض الالقاب على الاشخاص لاسباب تتعلق اما بطبيعتهم وسلوكهم أو بمهنهم أو بمظهرهم وشكلهم أولغيرها من الاسباب . وفي مدينتنا الكثير من هذه الالقاب والاوصاف صاغها ابناؤها الكورد واصبح تقليداً يتوارثونه اباً عن جد وعلى مدى فترات طويلة . جمعنا منها لهذا الموضوع بحدود خمسين لقباً ونعتاً وكلها بطبيعة الحال جاءت باللغة الكوردية . وهذا ليس بالامر الغريب لانها تعبر بوضوح عن طبيعة منطقة ، كانت ستختلف لو ان طبيعة ولغة سكانها كانت مختلفة . لنترك في هذا السياق خانقين واهلها مؤقتاً ، ونرحل الى اية مدينة في وسط أو جنوب العراق .. وندون بعضاً من الالقاب والاوصاف التي يتداولونها ، فهل يمكن ان يأتي لقباً واحداً منها باللغة الكوردية ؟ الجواب كلا بالطبع .. ولكن لماذا ؟ الجواب هو نفس الجواب الذي يفرض نفسه لو سالناه في خانقين . ولكن بشكل معاكس .

أدناه نماذج من ألقاب الشخصيات التي اشتهرت في خانقين وهي مفردات كوردية تعبرعن الصفات أوالاحداث والطرائف التي نسبت اليهم وتميزهم بين سكان المدينة :

كه ريم كه شخه ، ابراهيم كولجين ، قادر خه ره كدار ، عباس بيكه س ، ابراهيم لال ، ابراهيم مزكه ر، خليل دريز ، رحيم كول ، علي جاوجوان ، احمد قرمزي . محمد ئاواى ، محمود به فرى ، كريم سه ر به تى ، خورشيد دشله مه ، جليل جناكه ، ره شه با قه وى ، عيسى بلاو ، رشيد جاو ره ش ، احمد سه ر جه رمي .

وعشرات اخرى متداولة في المدينة وكلها تعبير عن هوية اصحابها الكوردية وتأكيد في الوقت نفسه على كوردستانية خانقين . وهنا فالمشكلة ليست في كوردستانية المدينة بل في اصحاب العقول التي لاتريد الاقرار بها والاعتراف بحقيقتها . وتؤكد هذه الاسماء تمسك الكورد بالدين الاسلامي من جانب ، واعتزازهم بقوميتهم من جانب آخر . والمفارقة التي تثير الانتباه فيها هي ان تأتي اسماء الاشخاص عربية اسلامية ، بينما القابهم كلها جاءت بمفردات كوردية . وهي من سمات كوردستانية المدينة .

★ لماذا توقفت انتصارات اللغة العربية على مرتفعات كه لات ومرواري في خانقين ؟

لا تستغربوا العنوان ... فهو ليس من ابتكارنا ، وحقيقته تعود الى ما قبل 68 عاماً من الان حين طرحه عراب القومية العربية ومنظرها ساطع الحصري على صيغة سؤال ، وفي طياته الكثير من المعاني والـدلالات . ووجهه قنبلة الى شفيق غربال منتقداً اياه على خلفية آرائه وتوجهاته في القومية العربية وعلاقتها بالاسلام والتي جاءت في مقال نشرته له مجلة الهلال المصرية في 1955/1/1م ، تحت عنوان (الجامعة الاسلامية واتحاد العرب) . اما ساطع الحصري فقد نشر انتقاده في الصفحة 187من كتابه الموسوم (العروبة اولا) الـذي طبع في نفس العام . فجاءت اراء وتعليلات الحصري مخالفة لغربال ، ولكي يحصره في زاوية حرجه يطرح سؤالا يستحق التأمل والدراسة بالنسبة لنا نحن الكورد : (لماذا توقفت انتصارات اللغة العربية الحاسمة في سفوح جبال زاكروس ؟). والسؤال بحد ذاته اقرار بفشل اللغة العربية وعجزها (رغم ثرائها) عن الانتصار على اللغة الكوردية في المنطقة التي يقصدها . وهو ايضاً اعتراف ضمني بحيوية اللغة الكوردية واصالتها واختلافها عن اللغة العربية في مميزاتها . وهذا ما يقر به الحصري في انتقاده حين يشير الى ان اللغة العربية كانت قبل الاسـلام محصورة في الجزيرة العربية . اخذت تنتشر بعد الاسلام الى اقطار مترامية الاطـراف . وان الفتوحات العربية الـتي اعقبت ظهور الاسـلام نشرت الديانة الاسلامية من ناحية ، واللغة العربية من ناحية أُخرى . ولكن نتائج هذا الانتشار لم تكن متساوية في جميع البلاد ، فبينما تغلبت اللغة العربية على اللغات المحلية تغلباً تاماً في بعض البلاد المفتوحة . وهي التي تكوّن العالم العربي في الحالة الحاضرة . لم تتغلب بشكل حاسم في بـلاد اخـرى على لغاتها المحلية . فينتقد غربال متسائلا : (لماذا سارت الاحوال على هذا المنوال ؟ لماذا تغلبت اللغة العربية على بعض اللغات تغلباً تاماً ؟ ولم تتغلب على بعضها الاخر ؟ ولـماذا توقفت انتصاراتها الحاسمة في سفوح جبال زاكروس ؟) . فيربط ذلك الفشل بعدة عوامل يحددها كالآتي :

مبلغ قرابة اللغات المذكورة الى اللغة العربية او مغايرتها لها .

حيوية كل واحدة من تلك اللغات .

هجرات القبائل العربية التي رافقت الفتوحات ، او تمت بعدها ومبلغ استمرار تلك الهجرات .

لاحتكامه الى العقل والموضوعية فان تعليلات الحصري جـاءت في غاية الدقة ، والفقرتين الاولى والثانية تنطبقان تماما على اللغة الكوردية وتـؤكـدان حيويتها واصالتها من جانب ، واختلافها وتميزها عن اللغة العربية من جانب آخر . وإلا لما كانت تستمر في المقاومة لاكثر من الف وستمائة سنة ، وهي تحت تأثير الدين الاسلامي من حيث اداء فرائضه وشعائره باللغة العربية ، وهي كافية لاية لغة ان تستسلم وتفقد الكثير مـن مفرداتها غـير ان اللغة الكوردية كلغة اصيلة ونشيطة حافظت على كيانها ووجودها رغم تلك المعطيات المعقدة . اما هجرات القبائل العربية التي يشير اليها الحصري فانها في الواقع لم تنقطع بشكل نهائي . بل كانت تتجدد باساليب واشكال متباينة ولكن اهدافها كانت واحدة . فهجرات القبائل العربية الى منطقة خانقين التي وصلت ذروتها

عام 1975م لم تكن اقل شأناً من التي جرت خلال الفتوحات العربية في صدر الاسلام . ولكنها فشلت في السيطرة على روح الكورد ، اي لغتهم التي لاتفقد حضورها مهما كانت ظروفها قاسية فهي الحياة بالنسبة للكورد . والحصري يقول في ذلك : (اذا فقدت امة لغتها، فقدت حياتها) . فبدلا ان يتمكن عرب التعريب من فرض لغتهم العربية على الكورد في خانقين . فان اغلب اطفالهم واولادهم هجروا لغتهم الام (العربية) واستعانوا بالكوردية للتفاهم مع زملائهم الكورد في الحارة والمدرسة والملعب . ولم تقف خارج حدود البيت بل دخلته . ومن المفارقات الطريفة في المدينة ان يستعين بعض الآباء (العرب) باولادهم عند الحاجة في الترجمة من الكوردية الى العربية او بالعكس .

ألا يحق لنا بعد كل هذا ان نسأل نيابة عن الحصري : لماذا توقفت اذن انتصارات اللغة العربية الحاسمة على مرتفعات كلات ومرواري ؟ . ولو ان الحصري على قيد الحياة اليوم لما تردد عن ذكر الحقيقة نفسها . الحقيقة التي آمن بها قبل سبعة عقود .. وتؤكد ان خانقين المتاخمة لكلات ومرواري كوردستانية كاخواتها المدن المتاخمة لسفوح جبال زاكروس . او اية مدينة على ارض كوردستان .

ملاحظة : يقع جبل كلات (القليل الارتفاع) جنوب شرق خانقين . وجبل مرواري في شمالها

★ أهمية المدينة ... المؤشرات والدلائل

وفي الختام فانه يحق للقارىء الكريم ان يسأل عن الاسباب والعوامل التي جعلت خانقين على هذه الاهمية وتصبح هدفا لغير اهلها على مر العهود . عن هذا نختصر فنقول : خانقين من المدن الكوردستانية التي أولتها السلطات المتعاقبة على حكم العراق اهتماما خاصا بدأته الدولة العثمانية عندما صنفتها ضمن اقضية الدرجة الاولى . فجعلتها تابعة اداريا لولاية بغداد بعد عهد التنظيمات المعروفة . ولم يكن ذلك الاهتمام اعتباطاً اودون دراية ، وانما لعوامل وخصائص عديدة تميزت بها المدينة ، سيما من الناحيتين العسكرية والاقتصادية لتنعكس تداعياتها على الجوانب السياسية بعد ذلك . وبعد تأسيس الدولة العراقية مع نهاية الحرب العالمية الاولى ، الحقت خانقين ببعقوبة القريبة من بغداد ضمن لواء ديالى فظلت منفصلة عن كوردستان حتى يومنا هذا . اما اهمية المدينة السياسية والعسكرية والاقتصادية والتاريخية فيمكن ان نستدل عليها بالنقاط الآتية :

- ابدت الدولة العثمانية اهتماماً خاصاً بالجيش ، فاحدثت في عام (1848م) الفيلق السادس وفق الاسس والانظمة الاوربية ، ضم مختلف مكونات الشعب العراقي ، وكان الاكراد يشكلون ثلاثة ارباع هذا الفيلق عام 1870م1(2) ثم اصبح لهذا الجيش عام (1875م) خمس كتائب طليعة (حرس حدود) ، استقرت في ثلاث مدن فقط : الكتيبة الاولى في نجد والثانية في خانقين ، والثالثة والرابعة والخامسة في بغداد .

كانت الكتيبة (34)التابعة للفرقة الخيالة السادسة تتمركز في خانقين وان احد الافواج الثلاثة التابعة للكتيبة (82) من فرقة الرديف الحادية والعشرين يتمركز في خانقين أيضاً2(4) .

ـ نصت المادة الخامسة عشرة من نظام الولايات عام 1864م على تشكيل قوة ضابطة في مركز كل ولاية ، تكون لها وحدات في سناجقها واقضيتها المهمة ، فإستقرت تشكيلة لهذه القوة في المدينة عام 1885م تضم فوجاً باسم فوج حدود خانقين السادس . واصبح لهذا الفوج في عام 1907م ثلاث سرايا للمشاة عدد أفرادها (183) مئة وثلاثة وثمانون فرداً ، وسرية واحدة للخيالة عدد افرادها (54) اربعة وخمسون عنصراً ، اماعدد ضباط الفوج فكان(14) اربعة عشر ضابطاً وآمراً3(5) .

ـ اولت الدولة العثمانية اهتماماً كبيراً بعد حرب القرم بوسائل الاتصال السريع ، فقامت وبمساعدة حليفتها بريطانيا على مد الخطوط البرقية بين بغداد واستانبول عام (1861م) ، في حين بدأت بمد خط بغداد ـ خانقين اواخر عام 1863م . وما ان حل الخريف التالي حتى كانت خطوط التلغراف العراقية متصلة بخطوط تركيا وايران في خانقين4(6) .

ـ افتتحت مصلحة تلفون (خانقين ـ خسروي) مع ايران في 1947/7/15م وهي ثاني مصلحة تلفون مع ايران بعد مصلحة تلفون (بصرة ـ خرمشهر)5(7) .

ـ فضلا عن المركز الرئيس في بغداد فان نظارة الرسومات (الكمارك) اواسط سبعينيات القرن التاسع عشر ، كانت تتألف من اربع مديريات فقط في عموم العراق واحده منها في خانقين يشرف عليها مدير يدعى (لطفي بك) يعاونه باشكاتب باسم (شاكر افندي) وكاتب ثان باسم (عبدالقادر افندي) وثالث باسم (عارف افندي)6(8) كان ذلك في عام 1906م .

- اسست دائرة لنظارة شركة الريجي في خانقين عام 1886م ، للاشراف على دخول التنباك من ايران الى المدينة . حيث دأبت هذه الشركة (الفرنسية ـ النمساوية) التي اتخذت من العاصمة استنبول مركزاً لها على شراء ومعالجة وبيع التبوغ ، بعد ان منحتها الدولة العثمانية عام 1884م حق شراء وبيع التبغ المنتج في اراضيها7(9) .

ـ اصدرت الدولة العثمانية عام 1840م نظاماً خاصاً يتعلق بالصحة ، اسمته نظام الكورنتينا (quarantine) وهي كلمة انكليزية تعني الحجر او المحجر الصحي . ولقد ابدى الوالي مدحت باشا اثناء ولايته اهتماماً خاصاً بأمور الصحة ، حيث كانت دوائر الحجر الصحي في ولاية بغداد ، وبالاخص خانقين ومندلي دائبة انذاك على اتخاذ اجراءات الحجر الصحي ، وضمت ادارة كرنتينة خانقين في عام 1907م : معاون طبيب يدعى رزوقي افندي، وباشكاتب يدعى خضر افندي ، وكاتبان آخران : ثان وثالث هما على التوالي جعفر افندي ونوري افندي ، وموظف لفحص الجنائز التي تدخل الولاية من ايران يدعى خورشيد افندي8(10) . ثم استبدل اسم هذه الدائرة الى (مفتشية صحة الولاية) غير ان امر الحفاظ على الصحة العامة كان يقوم به اطباء البلديات وهي على وجه التحديد بلديات مدينة بغداد الثلاث ، وبلديات مدن خانقين ، كربلاء ، الحلة9(11) والقائم بخدمات واعمال طبابة بلدية خانقين في عام 1907هو اليوزباشي10(*) رؤوف افندي11(12) بينما لم يكن في كل العراق آنذاك غير مستشفى المجيدية الصغير في بغداد

، الذي كان مخصصاً للجيش فقط، ومستشفى ملكي صغير في الكرخ ، انشأهما مدحت باشا بعد وصوله الى العراق عام 1869م 12(13) .

ـ كانت شعبة علياوة للاراضي السنية منتصف عقد ثمانينيات القرن التاسع عشر تشرف على ادارة اراضي السلطان عبدالحميد الثاني في المدينة . يقوم بادارتها منتصف العقد الاول من القرن العشرين مأمور يدعى صبري افندي قول آغاسي . والشعبة كانت موضع اهتمام السلطان والحكومة العثمانية .

ـ عندما وصل مدحت باشا بغداد والياً عام 1869م ، كان قد اصطحب معه فريق عمل وبعض المكائن والآلات لتأسيس مدرسة ـ الصنائع ـ . وكان هدف مدحت باشا من المدرسة الصناعية اعداد الايدي الماهرة لبعض الصناعات التي كان يزمع تأسيسها في العراق كمشروع استخراج النفط من آبار خانقين13(14) .

ـ عندما لاحظ الانكليز ما تعانيه الثروة الحيوانية في العراق من اهمال ، اسسوا في عام 1918م دائرة للبيطرة سميت (دائرة البيطرة والركائب الملكية) ، واستعانوا بالاختصاصيين الهنود فإنتشرت مثل هذه الدوائر في المدن العراقية المهمة حيث كانت هناك (15) مستشفى في عموم العراق ، واحدة منها في خانقين . وبينما كانت مدن اخرى مهمة خالية من تلك المستشفيات . كان في ناحية (قوره تو) التابعة لخانقين مستوصف يقدم خدماته الصحية للمنطقة. وذلك في عام1951م14(15) .

ـ تعد خانقين من اقدم مناطق العراق التي اجري فيها التنقيب عن النفط . حيث انشئت في 30 آب من عام 1925م شركة باسم (شركة نفط خانقين) كفرع لشركة امتياز دارسي (شركة النفط الانكليزية الفارسية) . بل هي اول مدينة في العراق يؤسس فيها مصفى للنفط ، وذلك في عام 1926م حيث انشئ على الضفة الغربية من نهر الوند فسمي باسمه .

وتولى بيع النفط والبنزين لجميع الاسواق العراقية . فلا يصدر اية كمية الى الخارج الا بعد تأمين الاحتياجات المحلية15(16) .

ـ اعتبرت خانقين من اوائل المدن العراقية التي اسست فيها المدارس الرسمية الحديثة، سواء كان ذلك في العهد العثماني او اثناء الاحتلال البريطاني بإستثناء الفترة التي أعقبت تشكيل الدولة العراقية الحديثة حيث تأخر فيها تأسيس المدارس .

ـ يستثني الدكتور صالح فليح حسن وهو يتعرض لتخلف المدن الحدودية في مجال التعليم الابتدائي ، يستثني مدينتي خانقين والزبير عن مدن العراق الاخرى ، ويعزي ذلك الى ارتباطهما بالعالم الخارجي من جهة ، ولوجود النفط فيهما من جهة ثانية ، رغم وجود اسباب اخرى بالنسبة لمدينة خانقين ، تتعلق معظمها بثقافة السكان المتاصلة ورغبتهم في التعلم ، لم يذكرها الدكتور16(17) .

ـ ضمن ستة طرق رئيسة مصنفة لسير السيارات تربط العراق بالعالم الخارجي ، يعد طريق (بغداد ـ خانقين) المتجه نحو الشرق ، من اهم تلك الطرق ، حيث يبلغ طوله اكثر من الف كيلومتر ، يبدأ من بغداد ليصل طهران ثم يتجه صوب الشرق . وهو اطول ثاني طريق بعد طريق (بغداد ـ المدينة المنورة)17(18) .

ـ فضلاً عن مساحات بساتينها الواسعة ، واشجارها المتميزه ، فان منطقة خانقين اشتهرت كذلك بجودة حاصلاتها الحقلية والزراعية المتنوعة وكمثال فان نوعية القطن التي كانت تزرع في المزرعة الملكية (علياوة) والتي تصدر الى الخارج ، اعتبرت من اجود الانواع . ومرغوبة كثيراً سيما في انكلترا التي كانت تستوردها . وهذا ما جعل الملك يتابع زراعتها وقطفها بنفسه ، مستعيناً بخبير بريطاني18(19) .

ـ فضلاً عما ذكرناه حول اهمية المدينة ، فان ما فعلته السلطات المتعاقبة وبالاخص الحكومة السابقة من اجراءات سياسية وادارية لتغيير ديموغرافيتها وازالة معالمها الكوردستانية ، وما رصدت من مبالغ خيالية لتنفيذ سياستها تلك ، انما لاهمية المدينة واستراتيجيتها ، وبيانا لمكانتها التي اخذتها السلطات المتعاقبة بنظر الاعتبار واستغلتها لصالحها، والتي كانت بالضرورة على النقيض من مصلحة ابنائها، بل وسبباً لجر الويلات عليهم في حين يفترض ان تكون سبباً لرخاء عيشهم وسعادتهم . ولكن ذلك لم يحدث لانها كوردستانية !

1(2) د. جميل موسى النجار ، الادارة العثمانية في ولاية بغداد ، ص 260 ، عن جريدة الزوراء ، العدد 38 في 28 ذي القعدة 1286هـ

2(4) المصدر نفسه ، ص 256 .

3(5) انظر سالنامة ولاية بغداد للسنة الهجرية 1325 ، ص 95 .

(6) لونكرينك ، اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ، ترجمة جعفر الخياط ، الطبعة الرابعة 1968 ، ص 357 .

5(7) عبد الرزاق الهلالي ، معجم العراق ، ص 157 .

6(8) انظر سالنامة ولاية بغداد 1325هـ ، ص 149 .

7(9) د. جميل موسى النجار ، الادارة العثمانية في ولاية بغداد ، المصدر السابق ص330 .

8 (10) انظر سالنامة ولاية بغداد 1325هـ ، ص 149 .

9(11) د. جميل موسى النجار ، الادارة العثمانية في ولاية بغداد ، المصدر السابق ص 402 .

10(*) اليوزباشي رتبة عسكرية عند العثمانيين تساوي النقيب عندنا اليوم .

11(12) سالنامة ولاية بغداد 1325هـ ، ص 148 .

12(13) سليمان فيضي ، في غمرة النضال ، ص 58 .

13(14) د. جميل موسى النجار ، التعليم في العراق في العهد العثماني الاخير ، 1869 ـ 1918م ، الطبعة الاولى ، بغداد 2002 ، ص 114.

14(15) عبد الرزاق الهلالي ، معجم العراق بغداد 1951، ص 196 - 197 .

(16) عبدالرزاق الحسني ، العراق قديما وحديثا 1948م ، صيدا ، ص 56 .

16(17) د. صالح فليح حسن ، جغرافية التعليم الابتدائي في العراق ، بغداد 1979م ، الطبعة الاولى ، ص 206 .

17(18) عبدالرزاق الحسني ، المصدر السابق ، ص 9 .

18(19) غازي دحام فهد المرسومي ، البلاط الملكي في العراق ودوره في الحياة السياسية 1921 ـ 1933 ، الدار العربية للموسوعات ، الطبعة الاولى ، 2002 ، بيروت ، لبنان ، ص 127 .